

محمد أركون والفكر الإسلامي الحديث: نحو نقد مزدوج للغرب والذات

*Mohammed Arkoun and Modern Islamic Thought: Toward a Double Critique of the West and the Self*¹ عقوني أسيا، سعونبيل^{*2}¹ جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل - (الجزائر)، البريد الإلكتروني assia.agouni@hotmail.com² مركز البحث في اللغة والثقافة الأمازيغية - بجاية (الجزائر) nabileprof@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/10/26 تاريخ القبول: 2026/02/18 تاريخ النشر: 2026/04/12

ملخص:

يتناول هذا البحث المشروع الفكري لمحمد أركون بوصفه محاولة رائدة لإعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة نقدية تستند إلى مناهج العلوم الإنسانية الحديثة، كاللغوية، والتاريخية، والأنثروبولوجية. يسعى أركون من خلال هذا المشروع إلى تجاوز القراءات التراثية المغلقة، والمقاربات الاستشراقية الاختزالية، من أجل تأسيس فهم تاريخي وسوسيولوجي للنص، والخطاب الديني. كما يركز على ضرورة إحداث قطيعة معرفية مع أنماط التفكير الدوغمائية التي عطّلت حركة الاجتهاد، والعقل النقدي في الثقافة الإسلامية. ويولي اهتمامًا خاصًا بمسألتي الترجمة، وإصلاح التعليم باعتبارهما مدخلين أساسيين لبناء فكر علمي تحرري يواكب تحولات العصر. وبهذا المعنى، يشكّل مشروع أركون دعوةً إلى تجديد الفكر الإسلامي على أسس عقلانية، وإنسانية قادرة على التفاعل الخلاق مع الحداثة.

كلمات مفتاحية: التراث، الفكر الإسلامي، النقد، الترجمة، الحداثة.

Abstract:

This study explores Mohammed Arkoun's intellectual project as a pioneering attempt to critically reinterpret Islamic heritage through the lens of Modern human sciences such as linguistics, history, and anthropology. Arkoun seeks to transcend both traditional dogmatic readings and reductionist orientalist approaches, aiming instead to establish a historical and sociological understanding of religious discourse. His work emphasizes the need for an epistemological break with rigid modes of thought that have hindered rational inquiry in Islamic culture. He also highlights the importance of translation and educational reform as key pathways toward building a free and scientific mode of thinking capable of engaging with modernity. In this sense, Arkoun's project stands as a call for renewing Islamic thought on rational and humanistic foundations.

Keywords: heritage, Islamic thought, criticism, translation, modernity.

مقدمة:

لقد أراد محمد أركون (Mohammed Arkoun) (1928-2010) أن يُقدم قراءة جديدة للعلاقة بين الفكر الإسلامي والغرب، من خلال نقده للاستشراق، والاستغراب معا. ولقد كان أركون يسعى دائماً إلى إعادة التفكير في كيفية تعامل الفكر الإسلامي مع تأثيرات الغرب الثقافية، والفكرية، في محاولة لتجاوز أيديولوجيات الهيمنة، والتبعية.

في البداية، ركز أركون على مفهوم "الاستغراب"، وهو رد فعل ثقافي وفكري ضد الهيمنة الغربية على المجتمعات الإسلامية. لكنه لم يقتصر على الرفض السلبي لهذه الهيمنة؛ بل دعا إلى نقدها وتفكيك الصور النمطية التي كونها الغرب عن الشرق، خصوصاً من خلال الخطاب الاستشراقي الذي لطالما صور العالم الإسلامي على أنه متخلف، وغير قادر على التقدم.

لكن أركون أيضاً كان ناقداً لفكرة "الاستغراب" نفسها في بعض الأحيان، حيث رأى أن هذا التفاعل السلبي مع الغرب قد يكون له تأثيرات سلبية على التفكير الإسلامي إذا تم التشبث به كأيديولوجيا أو كبديل للإصلاح الفكري الحقيقي. وبالتالي، دعا إلى التوجه نحو "الحداثة" بمعناها الواسع، التي تتضمن إعادة التفكير في مفاهيم العقلانية، والمعرفة، والنقد ضمن السياق الإسلامي، بعيداً عن سطوة التقاليد أو التبعية الغربية.

أركون لم يكن معارضاً للتفاعل مع الغرب أو للمفاهيم الحديثة، بل كان ينادي بإعادة تشكيل هذا التفاعل بطريقة نقدية وفكرية. ففي نظره، الحداثة لا تعني تبني الفكر الغربي كما هو، بل تطبيقه وفقاً للسياق الثقافي، والتاريخي للمجتمعات الإسلامية. وكان يعتقد أن الفكر الإسلامي يحتاج إلى أن يُؤسَّس على أسس عقلانية نقدية تتماشى مع التطورات الفكرية المعاصرة دون التفريط في هوية المجتمع الإسلامي.

كما دعا أركون إلى ضرورة إعادة قراءة التراث الإسلامي بطريقة نقدية، مع الاستفادة من المناهج الحديثة في الفلسفة، والعلوم الاجتماعية، والأنثروبولوجيا. وكان يرى أن هذه المناهج توفر أدوات جديدة لفهم النصوص الإسلامية، وتاريخها، وبالتالي تفتح آفاقاً جديدة لفهم الدين، والسياسة، والمجتمع.

وإجمالاً، ففكر أركون يمثل نقطة تحول في كيفية النظر إلى العلاقة بين الشرق والغرب. ذلك أنه قد جمع بين رفض الهيمنة الغربية من جهة، وفتح المجال أمام التفاعل الفكري البناء مع الغرب من جهة أخرى، في إطار نقدي يعيد تشكيل الفكر الإسلامي بما يتماشى مع تحديات العصر.

ولتحليل مضمون هذا الاشكال ارتأينا تقسيم مقالنا الى خمس عناوين أساسية:

1. مفهوم الاستغراب وتاريخه في الفكر الإسلامي.
2. نقد الاستشراق وتفكيك الصور النمطية للغرب عن الشرق.
3. الحداثة بين الانفتاح الفكري والمراجعة النقدية.
4. إعادة قراءة التراث الإسلامي باستخدام المناهج الحديثة.
5. المنهج النقدي والترجمة كأدوات لتجاوز العقم المنهجي بين الفكر الإسلامي والغرب.

المنهجية وأدوات التحليل :

في هذا المقال استخدمنا المنهج التحليلي-النقدي بوصفه المنهج الأنسب لمعالجة إشكالية العلاقة بين الفكر الإسلامي والغرب في مشروع محمد أركون. وقد مكّننا هذا المنهج من تحليل المفاهيم المركزية التي اشتغل عليها أركون مثل: الاستشراق، والاستغراب، والحداثة، والعقلانية النقدية، مع تفكيك الأسس المعرفية والإبستمولوجية التي تقوم عليها، والكشف عن حدودها وإمكانات توظيفها داخل السياق الإسلامي المعاصر. كما أتاح لنا هذا المنهج تجاوز الطرح الوصفي إلى ممارسة النقد، سواء تجاه الخطاب الاستشراقي بوصفه خطاب هيمنة معرفية، أو تجاه بعض ردود الفعل الإسلامية التي وقعت في منطق الرفض الإيديولوجي، والانغلاق الثقافي. وأما الدراسات الفكرية والأكاديمية:

انصب اهتمام الباحثين على نقد أركون للعقل الإسلامي، وموقفه من الاستشراق والاستغراب، وإشكالية التراث والحداثة. وفي هذا السياق، نجد "عبد السلام بنعبد العالي" الذي عالج في مقاله «محمد أركون وسؤال الحداثة» (1997) الأسس الفلسفية لمفهوم الحداثة النقدية عند أركون، مبرراً سعيه إلى تجاوز ثنائية التقليد والتغريب نحو أفق عقلاني منفتح. كما ناقش أيضا "فتحي المسكيني" في مقاله «نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون: حدود المشروع وإمكاناته» (2004) الخلفيات الإبستمولوجية التي يقوم عليها المشروع الأركوني مع التوقف عند إشكالية توظيف المناهج الغربية داخل السياق الإسلامي.

إضافة لـ "عبد الإله بلقزيز" الذي خص مقاله «محمد أركون ونقد الاستشراق» (2001) لتحليل موقف أركون من الخطاب الاستشراقي، معتبراً أن خصوصيته تكمن في الجمع بين نقد تمثيلات الغرب عن الإسلام، ونقد البنية المعرفية الداخلية للفكر الإسلامي ذاته. وفي الاتجاه النقدي، قدّم "جورج

طرابيشي" في مقاله «في نقد مشروع محمد أركون» (1996) قراءة تقويمية ركز فيها على حدود المنهج الأركوني، ولا سيما فيما يتعلق بالتاريخانية، والأنثروبولوجيا الدينية. كما عالج "محمد المصباحي" في مقاله «إشكالية التراث والحداثة في فكر محمد أركون» (2003) التوتر القائم بين المرجعية التراثية ومتطلبات الحداثة، مبرزًا الرهان الأركوني على العقلانية النقدية بدل القطعية أو التبعية.

1. مفهوم الاستغراب وتاريخه في الفكر الإسلامي:

إن كلمة "الاستغراب" (L'Occidentalisme ou l'Occidentalisation critique) مأخوذة من كلمة "غرب"، والتي تعني في القاموس غروب الشمس. وبناءً على ذلك، فإن "الاستغراب" تعني علم الغرب. ومن هنا يمكن أيضًا تحديد معنى كلمة "المستغرب"، وهو ذلك الشخص من أهل الشرق الذي تبخر في إحدى لغات الغرب، وأدبها، وحضارتها (سمائلوفيتش، 1920).

وقد عرّف الاستغراب المصري "حسن حنفي" بأنه الوجه الآخر النقيض، والمقابل للاستشراق. فإذا كان الاستشراق يُمثل رؤية "الأنا" (الشرق) من خلال "الآخر" (الغرب)، فإن الاستغراب، بمعناه الشمولي، يهدف إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر. ومهمة هذا العلم هي تفكيك هذه العقدة التاريخية، ودحض المركزية الغربية، وجنون عظمتها، عبر تحويل الغرب من ذات دراسة للشرق إلى ذات مدروسة من قبله، أي إلى موضوع للدراسة، حيث يتم فضح كل أبعاده الايديولوجية (حنفي، 1991).

ولقد التزم محمد أركون في دراساته بمنهجية دراسات علماء الغرب، مع إقصاء التفسيرات الدينية التقليدية لأي دين من الأديان السماوية. وفضلاً عن ذلك، عمد إلى دراسة الدين دراسةً ماديةً تجريبية، حيث تناول الظاهرة الدينية في ضوء نظرية التطور، مستبعداً البعد الغيبي عند مقارنة هذه الظاهرة (الشرقاوي، 2008).

يرى محمد أركون أن على المفكر المسلم الحديث، المتدرب على تقنيات الاجتهاد الكلاسيكي والمتمرس بالمناهج التعددية للعلم الحديث، ألا يجرح الوعي الإيماني أو يعامله بفجاجة. كما ينبغي على العلماء التقليديين أن يؤدوا دورهم كوسطاء ذوي مصداقية بين هذا الوعي الإيماني ومتطلبات العلمية الحديثة ومن خلال قراءتنا، نسعى إلى دمج الظاهرة الدينية داخل المجتمعات المسلمة بدلاً من محاكمتها أو

مراقبتها أو تقييمها انطلاقاً من المتعالي والخارجي، الذي لا يزال يحتله حتى الآن المؤرخ الوضعي (الاستشراقي) (اركون، 1991).

ويؤكد أركون على ضرورة تصفية كل المواقع التبجيلية والافتخارية التي تزعم أن الإسلام قادر على مقاومة العلمنة بفضل تعاليه الإلهي وحده، كما ينبغي رفض مزاعم الفكر العلماني الذي يدّعي أنه يمثل المرحلة الحاسمة من تحرر العقل خارج كل العقائد (اركون، 1991، صفحة 104).

وفي سياق طرحه لعلاقتنا بالغرب، انطلق أركون من فكرة الإسلام الراهن، الذي يبدو أنه قد تراجع ولم يعد قادراً على لعب دوره كحركة صانعة للتاريخ، نتيجة وقوعه في فخ التجريد، والأدلجة، مما أدى إلى سلخه عن سياقه التاريخي. ومن خصائص الإسلام الراهن، في نظره، أنه أصبح في شكله الحالي إسلاماً غريباً، منقطع الجذور عما سبقه، ويُستخدم بشكل خاص للتغطية على الحداثة المستوردة من الغرب الإمبريالي، والتي تم تمريرها من قِبل القوميين بعد الاستقلال، سواءً علناً أو سراً. ولهذا، يؤكد أركون على ضرورة النهوض والإصغاء إلى خطورة الوضع الحالي (اركون، الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، 2001).

2 نقد الاستشراق وتفكيك الصور النمطية للغرب عن الشرق :

يرى محمد أركون أن الاستشراق (L'orientalisme) هو حركة علمية هامشية في المجتمعات الغربية، وهذه قناعة لا يمكن التشكيك فيها بمرور الزمن، وهي غير قابلة للنقض. وعلى الرغم من هامشية المستشرقين وقتهم، فقد تمكنوا من إثارة البلبلة وخلق مشكلات كبرى لمن حولهم عبر العصور. ومن بين الأخطاء الشائعة التي وقعوا فيها: "إهمال النصوص الأصلية" حيث لم يعتنِ المستشرقون بالنصوص القرآنية الأصلية، بل اعتمدوا على الترجمات، التي نقلوها بشكل بارد، رافضين تحليلها وتفكيكها. وبما أنهم تعاملوا معها من الخارج، فقد برّروا ذلك بالحيادية. كما أنهم "تجاهلوا التراث غير الرسمي" فلم يهتم المستشرق بالتراث الإسلامي في بعده الشفهي، متجاهلاً إسلام الشعوب التي لا تمتلك تقاليد كتابية، مثل البربر الأمازيغ والأفارقة السود، أو الجماهير الشعبية بشكل عام. إضافة إلى "اقتصارهم على الخطابات الرسمية" حيث ركّز الاستشراق على الخطابات الرسمية السائدة، متجاهلاً بذلك ما هو مكبوت ومسكوت عنه في العالم العربي والإسلامي، بسبب الرقابة الرسمية القمعية، سواء في الماضي أو الحاضر.

فضلا على "الاهتمام بالإسلام الأرثوذكسي فقط" فحتى وقت قريب، لم يكن الاستشراق يهتم إلا بإسلام الأغلبية، المدعو بـ"الأرثوذكسي"، أي الإسلام السني. وأخيرا "الخضوع للمسلمات الأيديولوجية الغربية" فقد بقي المستشرقون خاضعين للمسلمات الأيديولوجية المرتبطة بالمركزية الغربية، التي تم تفكيكها لاحقا من قبل مفكرين مثل: "كلود ليفي ستراوس" (Claude Lévi-Strauss) "بيير بورديو" (Pierre Bourdieu) "ميشيل فوكو" (Michel Foucault) "جاك ديريدا" (Jacques Derrida) وغيرهم (المزواحي، 2016).

ويُعتبر النظام الدلالي للمجتمعات العربية الإسلامية، المتشكل حسب "هوارى عدي" من المعتقدات المختلفة، كالطقوس، والرموز، والأسس الجوهرية للحياة الذاتية، أحد أهم الميكانيزمات التي توجه السلوك الخارجي للأفراد. وهنا تبرز أهمية الأنثروبولوجيا باعتبارها علما دقيقا لاستكشاف، وتحليل البعد الثقافي المرتبط بالدراسة الدينية عند المسلمين (Lahouari Addi, 2010).

ولقد تعددت الدراسات الكلاسيكية حول الإسلام عند المستشرقين، واتسم خطابها بالدفاع عن العالم الإسلامي من خلال إقامة علاقة وثيقة بالدولة، والتدوين، والثقافة الشاملة، والدين الرسمي. وجاء هذا التركيز نتيجة إدراك طبيعة التنوع، والتعقيد الذي يميز الظواهر الإسلامية (Mohamed Akoun, 1984).

ويخلص أركون إلى أنه لا ينبغي التعامل مع المستشرقين والدراسات الاستشراقية بالرفض القاطع، كما كان الحال في السبعينيات، بل يجب، وفقا له، ترجمة أهم أعمالهم المخصصة للدراسات الإسلامية، التي أنتجها الأكاديميون، وذلك من أجل مناقشتها على أسس علمية وموضوعية، وليس على أساس عقائدي أو أيديولوجي (أركون، القرآن: من تفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، 2005).

3. الحداثة بين الانفتاح الفكري والمراجعة النقدية:

يغدو النص الديني ممارسة خطابية خاضعة لآليات التأويل القائمة على التفكيك، وقد استلهم محمد أركون هذه النظرية من فلاسفة الحداثة وما بعد الحداثة الأوروبية. ويدعو إلى إخضاع النص الديني لهذه المقاربة، باعتبارها الضامن الوحيد للفهم الموضوعي، المنفلت من قبضة الإسلاميات الكلاسيكية الاستشراقية، التي تحاول حرمان العقل الإسلامي من قراءة النص القرآني باستخدام العلوم الإنسانية كمنهج وسيط. وعلى ضوء هذا الطرح، يؤكد أركون أن النص القرآني هو تراكم لمجموعة من العصور، والحُقب الزمنية المتعاقبة، المترتبة فوق بعضها البعض (يعقوبي، 2014).

ويرجع اهتمام أركون بأهمية الزمن ودوره في تقدم الأمم إلى إدراك المسلمين حتمية مواجهة الحضارة الغربية المتطورة، والمسلحة بأدوات الحداثة. ولم تبدأ هذه المرحلة إلا مع حملة "نابليون"، التي فتحت الباب أمام ضرورة الانتباه إلى الفجوة الحضارية بين الثقافة التقليدية التي ظلت في الظل، ومجتمعات أخرى شهدت تطوراً فكرياً، ومجتمعياً ملحوظاً. وقد خلص التشخيص العام آنذاك إلى الإقرار بوجود تأخر يمكن تداركه. فمثقفوا تلك الفترة، وعلى رأسهم "رفاعة رافع الطهطاوي"، أدركوا ضرورة تجديد الفكر في الشرق، على غرار ما حدث في الغرب. ومن أجل تحقيق نهضة إسلامية، يجب على المسلمين إعادة استكشاف تراثهم الديني، بحيث تستعيد كلمة الإسلام قوتها الروحية والدينية على مستوى الخطاب القرآني، وذلك عبر تبني أدوات فكرية جديدة، واستراتيجيات معرفية حديثة (جوزيف، 2008، الصفحات 17,28).

كما يرى أركون أن الحداثة (la modernité)، رغم بزوغها، لا تزال تتشبث بثوبها الميتافيزيقي المتعالي، حتى مع ظهور منهج التفكيك. ولم يبدأ العلماء في العالم الإسلامي بالحديث عن تعدد اليقينيات إلا في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، حيث ساهمت العولمة، ومنهج "الحفر الأيديولوجي" في التحرر إلى حد بعيد من الأيديولوجيات القومية، عبر النقد التاريخي الممارس في العلوم الدينية، مما أتاح إمكانية تحرير الحقيقة من الإطارات الأيديولوجية (اركون، القرآن: من تفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، 2005، صفحة 09).

وفي هذا السياق، أصبحت عملية الضبط الاجتماعي في وقتنا الراهن تقوم من خلال توظيف الدين لتنظيم الشؤون العامة، وشؤون الأسرة. ومع ذلك، لا يعني هذا إغفال المرجعية المادية التي أفرزتها الثورة الصناعية، إذ أن هذه العوامل جميعها تشكل جزءاً من تاريخ تطور أي أمة (المسيري، 1968).

ولفك مشكلة قراءة النص الديني ووجب علينا استخدام منهج "الإسلاميات التطبيقية" حسب أركون هذا المنهج الذي يقوم أساساً على تجديد المفاهيم والمصطلحات. ويساعد هذا التخصص الجديد، عبر إقحام مناهج ومصطلحات العلوم الإنسانية، في دراسة الإسلام عبر تاريخه الطويل، مما يتيح مقارنة أكثر علمية، وانفتاحاً على الواقع المعاصر.

4. إعادة قراءة التراث الإسلامي باستخدام المناهج الحديثة.

يرى محمد أركون ضرورة إخضاع التراث الإسلامي للدراسة الأنثروبولوجية وتدرسه، إذ أن هذه المقاربة من شأنها أن تُخرج العقل من سياجه الدوغمائي، ليتسع إلى آفاق تفكير أكثر شمولية وإنسانية. كما أن علم الأنثروبولوجيا يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح منفتحة ومتفهمة حيث يُغلب المعنى على السلطة، ويُفضّل السّلم على العنف، ويمنح المعرفة التنويرية الأولوية على الجهل المؤسس.

إضافة إلى ذلك، أصبح علم الأنثروبولوجيا الحديث يمارس دوره كمنهج نقدي تفكيكي، وهو ما نلمسه في تحليل الخطاب الديني بوجه عام. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، يجب على المجتمعات الإسلامية أن تخضع تراثها الإسلامي لمعيار العلمنة. والمقصود بالعلمنة هنا ليس رفض الدين، وإنما البحث عن فهم موضوعي للواقع يتجاوز الخصوصيات الثقافية والدينية، من أجل الوصول إلى توافق معرفي مشترك يكون مفتوحاً على جميع العقول، بغض النظر عن اختلافاتها.

من هنا، تبرز مسؤوليتان رئيسيتان: الأولى تتعلق بتجاوز الإطارات الثقافية والتاريخية الضيقة في البحث العلمي، أما الثانية فتكمن في مشكلة التعليم والتدريس، حيث يواجه المعلم يومياً عقولاً شابة أو بالغة، لكنها تفتقر إلى أدوات الدفاع عن نفسها فكرياً. وهذا يتطلب جهداً مستمراً من طرف المدرّس. ومن هذا المنطلق، فإن العلمنة التي يدعو إليها أركون ليست مجرد موقف أيديولوجي، بل تجربة معاشة، تتجلى كتوتر مستمر من أجل الاندماج في العالم الواقعي (اركون، العلمنة والدين : الإسلام ، المسيحية ، والغرب، 1996، صفحة 06).

ومع ذلك، تظل مشكلة العلمنة قائمة بالنسبة للجميع، سواء للمسلمين أو للغرب، الذي يزعم الحياد تجاه الدين، لكنه في الوقت ذاته يشترط فصله عن الفضاء العام (اركون، العلمنة والدين : الإسلام ، المسيحية ، والغرب، 1996، صفحة 07).

فيدعو أركون إلى ضرورة إدخال التعليم الديني في المدارس، لكنه يرى أيضاً أهمية إدراج البعد الغيبي في الخطاب المعاصر. إذ يصحّح بأن العلمنة ليست موقفاً معادياً للدين، بل هي تعبير عن موقف فلسفي للعقل في مواجهة مشكلة المعرفة. وهي أيضاً ظاهرة ذات أبعاد نفسية واجتماعية، إذ أنه لا يمكن فهم بعض الحضارات إلا إذا تم دمج البعد الغيبي ضمن منظومتها المرجعية، باعتباره إطاراً لإدراكها النفسي للعالم. هذا البعد، حسب أركون، يكاد يكون مغيباً في الفكر الغربي. أما في الحضارة الإسلامية، فإن غياب

حرية الفكر النقدي، والإبداع الفني هو ما جعل تحقيق العلمنة أمراً بالغ الصعوبة (شحيد، 2001). ويُشدد في مؤلفاته على الطابع المفتوح وغير المكتمل للنص القرآني، إذ يرى أن هذا النص يحتاج إلى تأويل مستمر، حتى في عصرنا الحالي، لتجنب الغموض المنهجي. كما يؤكد أن ضرورة التأويل تنبع من السياق التاريخي للنصوص، ومن كون هذه النصوص تُحيل إلى الحقيقة السامية للدين، التي تتجاوز الحقيقة التاريخية. وهنا، نصادف إشكالية مقابلة الحقيقة الشاملة للحقيقة السامية، وهو ما يفرض علينا اللجوء إلى الاجتهاد المستمر (شحيد، 2001،، صفحة 44).

5. المنهج النقدي والترجمة كأدوات لتجاوز العقم المنهجي بين الفكر الإسلامي والغرب:

يرى محمد أركون أن المنهج النقدي (l'approche critique) الذي يتبناه يجب أن يتجاوز المنهج الاستشراقي الفيلولوجي، إذ يقوم منهجه على التسليح بالنقد والانفتاح على جميع علوم الإنسان والمجتمع، مع استحضار مفاهيم مثل: المتخيل، والأسطورة، والحقائق السوسيولوجية الكبرى، وذلك من أجل فهم شامل لكل ما تتضمنه العلوم الإنسانية اليوم، بما في ذلك علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والتاريخ.

وانطلاقاً من هذا المنهج النقدي، يقترح أركون تعميم المنهجية التحررية، التي لا تكون مهمتها الأساسية البحث عن الدراسات الموثوقة فحسب، بل إنتاج معارف جديدة تعالج المشكلات الفعلية التي يعاني منها المجتمع الجزائري، والسعي إلى حلّها والسيطرة عليها بالمنهج العلمي. ووفقاً لهذا التصور، يدعو أركون الباحثين المسلمين عامةً، والجزائريين بخاصة، إلى الانخراط في "المعركة العلمية"، بوصفها السبيل الوحيد الذي يجعلهم أعضاء فاعلين ومساهمين في إنتاج المعرفة، ومن خلالها قادرين على تغيير واقعهم. أركون، الانسنة والاسلام 2010، ص 10-11).

5- معالم المنهج النقدي عند محمد أركون:

أ- النقد بالمعنى الأنثروبولوجي:

يرى محمد أركون بأن المسألة الدينية والايمانية أو الروحانية بشكل عام لم تُعد تُخيف العلماء المعاصرين، ولم يبدوا النفور منها باعتبارها مسألة رجعية تخص عصور ماضية انقضت، بل على العكس لقد أصبحت تأخذ صميم اهتمامات المُفكرين والعلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم. وإنه لمن الواضح أنه لا يمكن أن يعود المُقدس لصفائه، والدين لهيجته الأولى، ولتعالیه وسموه الا بعد أن نضع التجربة التيولوجية الاسلامية في المحك التاريخي الصارم، عندئذ يتبين الخيط الابيض من الأسود

وعندئذ أيضا نفهم التركيبات التكنولوجية الإسلامية بكل أنواعها: التفسير، والفقه، والحديث، وعلم الكلام بأنها من صنع البشر، وهذا ما يجعل أحقية إخضاعها للبحث والنقد التاريخي أمر شرعي، حيث نتطرق لمسائل أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، أي حينما يلجأ الأصوليين لاستبدال نص لاحق بنص سابق، وخاصة عندما يستعصي عليهم التوفيق بين الأحكام الشرعية يلجؤون للنص الذي يُحقق الانسجام، هذا ما سبب حسب أركون إثارة التناقضات والتشويش، وهكذا تطور المنسوخ، وأصبح باتصال مباشر مع الشريعة. ولهذا وجب علينا الاستعانة بمنهج النقد التاريخي لاكتشاف الضعف المنهجي والفقرات، والتناقضات. (أركون، من الاجتهاد الى نقد العقل الإسلامي، 1991، ص 07، 09، 89)

ب- النقد الفلسفي:

وظف محمد أركون جملة من المناهج الفلسفية قصد تحليل النص الديني وفقا لآليات حديثة ولعل من بين المناهج التي اعتمد عليها "المنهج اللساني" الذي طبقه في تحليل الخطاب القرآني ودلالاته واستخدم هذا المنهج في سنوات السبعينيات من القرن الماضي، كما استعان أيضا بالمنهج "الفينومينولوجي الوصفي" لتحليل الظاهرة القرآنية، ويقصد بذلك كيف يتعامل البشر مع النص المقدس المتعالي عن واقعهم، والأشياء المحاطة بهم. (أركون، القرآن: من تفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، 2005، ص 5، 7). أما "المنهج التفكيكي" فقد استخدمه من أجل الكشف عن خبايا الخطاب الذي تستخدمه علوم الإنسان من أجل الكشف على العلاقة التي تربط بين المُفكر فيه (la pensée)، واللا مُفكر فيه (l'impensé) والذي تراكم طيلة أربعة عشر سنة من القرون الماضية داخل تراثنا، والذي لم نتناوله بالشكل النقدي المطلوب، وهذا ما جعل العديد من المسائل متبقية معلقة ومغلقة لزمّن طويل دون التفاتة بسبب الطابوهات الدينية. (أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، 1987، ص 18، 10)

ج- النقد واسقاطه على واقعنا وأزمة المناهج التربوية بالجزائر:

يذهب أركون إلى أن الحل الوحيد لمعالجة أزمات عصرنا المعاصر يكمن في توليد فكر نقدي جديد يهتم بتشريح تراثنا، ونقد إخفاقاتنا. وعلى الصعيد التربوي البيداغوجي، يدعو إلى تجديد برامج التعليم الثانوي والجامعي، عبر تقليص حجم ساعات الدراسة، وتشجيع طرق اكتساب المعرفة بالمقاربة بالكفاءات، من أجل تكوين أجيال تفكر بالعقل لا بالتكرار والنقل.

كما يؤكد أن برامج التدريس عندنا ينبغي أن تهتم بجانبين أساسيين، الجانب الأول يتمثل في تعريف الطلبة بالجانب الإنساني والعقلاني في تراثنا العربي الإسلامي المضيء، وعدم تركهم فريسة للجانب الأصولي المغلق. فمن الضروري أن يعلموا أن في مرحلة من المراحل كان هناك مفكرون، وفلاسفة، وعلماء من أجدادهم اشتغلوا في مجالات العلوم، والفلسفة، والأدب، وكان لهم أثر بالغ في أوروبا التي أخذت عنهم الكثير من المعارف. ومن بين هؤلاء المفكرين: "ابن خلدون"، و"التوحيدي"، و"المعري"، و"ابن مسكويه". فالنصوص التي خلّفوها تستحق أن نعيد قراءتها، وشرحها لبناء معارف جديدة، كما يجب على البيداغوجيين إدراجها في البرامج التعليمية ابتداءً من الطور الثانوي. ومن خلال هذا العمل، سيتعرف الطلبة الجزائريون خاصة، والعرب عامةً على أن أجدادهم الذين أنتجوا حركة عقلانية مزدهرة في القرون الماضية، وإن كانت قد تراجعت مع مرور الزمن.

أما الجانب الثاني، فيتمثل في تعريف الطلبة بمراحل الحداثة الفكرية في أوروبا منذ القرن السادس عشر حتى اليوم، وشرح ضرورة الاحتكاك بالغرب المتقدم علمياً واقتصادياً، من أجل تبادل الخبرات والاستفادة من مناهجه العلمية في هذا الظرف الذي تعمق فيه الفجوة بين العالمين (أركون، قضايا في النقد العقل الديني، 1998، ص 303-304)

أما مشكلة الترجمة (la traduction)، فهي في نظر أركون من أهم الإشكالات المعرفية التي تعيق الفكر العربي اليوم. فترجمة منتجات ومصطلحات العلوم الإنسانية الحديثة من ألسنياتٍ بمختلف فروعها، ومناهج في التاريخ، والسوسيولوجيا التطبيقية، والأنثروبولوجيا وغيرها ما تزال غائبة أو محدودة التداول. ويؤكد أن حجم المهمة المنتظرة أكبر بكثير من عدد الباحثين العرب الذين اشتغلوا سابقاً في هذا المجال.

كما يشدد أيضاً على ضرورة تجنب الأخطاء السابقة، وأبرزها غياب التنسيق بين المترجمين، ويدعو إلى تقليص الفجوة، وطمس النزعات الإيديولوجية بينهم، وإلى توحيد المصطلحات التي كثيراً ما تُترجم بصيغ مختلفة أو متناقضة، مما يُفسد الصيغة العلمية للترجمة. ويقترح، في حال تعدد الترجمات لمصطلح غير متفق عليه، اعتماد الترجمة الأقوى والأدق، أي تلك التي تفرض نفسها بمعيار الوضوح، والدقة المفهومية على بقية الترجمات الهشة المعرضة للزوال. أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، 1987، ص 106)

ولمواجهة هذا النقص، يرى أركون أنه يجب علينا أن نهض بالترجمة كما فعل اليونانيون، إذ يُعدّ ذلك مدخلاً لانفتاحنا على العلوم الأخرى، وتحررنا التدريجي من سجن التراث. ويؤكد ضرورة تبني فلسفة

العلوم، وإنشاء المخابر العلمية، وتشجيع الترجمة في مختلف المجالات، من أجل ترسيخ ثقافة التبادل المعرفي مع الآخر. وإذا تحقق ذلك، يمكننا أن نحلم بتحقيق عصر حداثة علمية مستقبلاً. (أركون، الاسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى واردة الهيمنة، 2001، ص 234)

والحدثة التي يقصدها أركون قد عرفها العرب المسلمون في القرون الماضية، غير أنهم تراجعوا لاحقاً في مجالات العلوم، والآداب، وهو ما جعلهم اليوم يسعون إلى استعادتها. ولن يتم ذلك إلا عبر القطيعة مع اليقينيّات الدوغمائية المستندة إلى إيمان تقليدي ومسلمات منغلقة. (أركون، 1996 نافذة على الاسلام، ص 43)

6. خاتمة:

يمثل مشروع محمد أركون الفكري واحداً من أبرز المحاولات الجريئة في الفكر العربي المعاصر لإعادة قراءة التراث الإسلامي، لا من منظور دفاعي أو تبريري كما اعتادت القراءات التقليدية، بل من خلال مقارنة نقدية تفكيكية تستلهم مناهج العلوم الإنسانية الحديثة، ولا سيما الألسنية والتأويلية، والتاريخية، والأنثروبولوجية. فلقد سعى أركون إلى وضع الفكر الإسلامي في سياقه التاريخي والسوسيوي-ثقافي، بعيداً عن القراءات الإطلاقيه أو التبجيلية، محاولاً الكشف عن آليات إنتاج المعنى داخل الخطاب الإسلامي، وعن البنى العميقة التي أسهمت في تشكيله، وتطوره عبر العصور.

ويمكن اعتبار مشروعه الفكري محاولة للخروج من ثنائية الاستغراب والاستشراق، إذ رفض أركون اختزال الفكر الإسلامي في نموذج جامد يقابله نموذج غربي يُقدّم بوصفه معياراً كونياً للحدثة. وبدلاً من ذلك دعا إلى تبني منهج تاريخي-نقدي يعيد النظر في المفاهيم المهيمنة داخل الفكر الإسلامي، مثل: مفاهيم "العقل الإسلامي"، و"النص المقدس"، و"السلطة الدينية"، مقترحاً ما سمّاه بـ "الإسلاميات التطبيقية" كأداة منهجية تهدف إلى دراسة الظاهرة الإسلامية في بعدها السوسيوي-تاريخي، بدلاً من حصرها في التفسيرات العقائدية أو المقاربات الاستشراقية.

إن أركون لم يكتف بالنقد النظري، بل يدعو إلى ثورة معرفية شاملة تشمل إصلاح البنى التعليمية والفكرية، والاجتماعية. فهو يرى أن تجاوز الجمود الحضاري لا يتم إلا من خلال تجديد المناهج التربوية في المدرسة، والجامعة، والانتقال من التلقين إلى تنمية ملكة التفكير النقدي، والعقلاني لدى المتعلمين. كما يشدد على ضرورة الانفتاح على الفكر الإنساني الكوني عبر الترجمة، وتطوير البحث العلمي، وإرساء

ثقافة الحوار، والتبادل المعرفي بين الحضارات، معتبراً أن الترجمة أداة مركزية في بناء الحداثة الفكرية والعلمية المنشودة.

ويربط أركون بين النقد الفكري والتحرر المجتمعي، إذ يرى أن استئناف مشروع النهضة العربية-الإسلامية يستوجب أولاً: تحرير العقل من القيود الدوغمائية التي كبّلته قروناً طويلة، ومن ثم تحويل الدين من خطاب مغلق إلى موضوع معرفي مفتوح يخضع للتحليل التاريخي والاجتماعي، دون أن يُفَرَّغ من قيمه الروحية، والإنسانية. ومن هذا المنطلق، يدعو إلى تأسيس فكر حديث قادر على تجاوز الثنائية الزائفة بين الإيمان والعقل، بين التراث والحداثة، وبين الهوية والانفتاح.

ويُعدّ فكر محمد أركون إسهاماً محورياً في إعادة بناء العلاقة بين الإسلام، والعقل، والحداثة. فقراءته لا تقتصر على الجانب الأكاديمي البحت، بل تتجاوز ذلك إلى مساءلة البُنى الذهنية، والمعرفية التي تتحكم في طرائق فهمنا للواقع، والتاريخ، والمقدّس. إنه مشروع مفتوح على التأويل، والتطوير المستمر، يستمد حيويته من تفاعله الدائم مع التحولات الكبرى التي يعيشها العالم الإسلامي، والفكر الإنساني المعاصر. وبذلك، يظلّ أركون أحد أبرز الأصوات التي دعت إلى إعمال العقل النقدي، وإعادة الثقة في قدرة الفكر العربي على إنتاج المعرفة، والانتقال من موقع التلقي إلى موقع الإبداع والمبادرة.

7- المصادر والمراجع :

1. Lahouari Addi, I. O. (2010.). Clifford Gertz : interprétions et culture., paris: edition archive contemporaine.,
2. Mohamed Akoun, M. p. (1984). pour une critique de la notion islamique., paris: Maisonneuve.
3. أركون م. (1991). من الاجتهاد الى نقد العقل الإسلامي (Vol. ط). (1هـ. أ. صالح (Trad.)، لبنان: دار الساقى.
4. أركون م. (2001). الاسلام ، اروبيا ، الغرب: رهنانات المعنى وارادات الهيمنة (Vol. ط). (2هـ. صالح (Trad.)، مصر: دار الساقى .
5. الشرفاوي ح. ع. (2008). مقارنة الاديان بين التطبيق والتنظير عند عبد القاضى عبد الجبار المعتزلى: دراسة تحليلية مقارنة. بيروت: دار الكتب العلمية.
6. المسيري ع. ا. (1968). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (Vol. مع. (1) القاهرة: دار الشروق .
7. حسن حنفي. (1991). مقدمة في علم الاستغراب. القاهرة: دار الفنية.

8. رون هالبير شحيد. (2001). العقل الاسلامي أمام تراث عصر الانوار في الغرب. (جمال شحيد، المترجمون) سورية: دار الاهالي لطباعة والنشر.
9. سمايلوفيتش، أ. (1920). فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي. مصر: دار المعارف .،
10. مايلا ، محمد اركون ، جوزيف. (2008). من منهاتن الى بغداد : ما وراء الخير والشر (المجلد ط1). (عقيل الشيخ الحسين، المترجمون) ، بيروت لبنان: الساقى.
11. محمد اركون. (1996). العلمنة والدين : الإسلام ، المسيحية ، والغرب (المجلد ط3). (هاشم صالح، المترجمون) بيروت: دار الساقى.
12. محمد اركون. (2005). القرآن : من تفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني (المجلد ط2). (تر : هاشم صالح، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.
13. محمد المزواغي. (2016). في نقد الاستشراق. المغرب: افريقيا الشرق.
14. يعقوبي ع. ا. (2014). الحدائث الفكرية في التأليف الفلسفي المعاصر :محمد اركون ، محمد عبد الجابري ، هشام جعيط (Vol. ط1)لبنان :مركز نماء للنشر والتوزيع.
15. أركون، محمد. (1996). تاريخية الفكر العربي الاسلامي. ط2. تر: هشام صالح. بيروت: مركز الانماء القومي.
16. أركون، محمد. (1987). الفكر الاسلامي: قراءة علمية. تر: هاشم صالح. بيروت: مركز الانماء القومي.
17. أركون، محمد. (1998). قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الاسلام اليوم. تر: هشام صالح. بيروت: دار الطليعة.
18. أركون، محمد. (2010). الأنسنة والاسلام : مدخل تاريخي نقدي. ط1. تر: غرب محمود. بيروت: دار الطليعة.